استخدامات الإضاءة عند العرب المسلمين دراسة تاريخية

م.م. عدنان محمود عبد الغني الشاوي
جامعة تكريت /كلية التربية /قسم التأريخ

المقدمة

استخدم العرب الإضاءة منذ أقدم العصور،في سائر البلدان العربية ومنها العراق والجزيرة العربية على سبيل المثال،،ولا تختلف مصادر الإضاءة عند العرب،حيث إن مواد الاشتعال المستخدمة هي الخشب أو الحطب في السابق،وقد تكون استخدامات النار المشتعلة ليس للإضاءة فقط،إنما لطهو الطعام،وكذلك اعتاد العرب (أهل البادية)على إشعال النار يوميا لغرض تجمع الناس من العائلة أو القبيلة للسمر في الليل أو لعقد الأحلاف وكذلك عند مجيء الضيوف،إضافة إلى ذلك تشعل النار أحيانا بلهب عال عند طلب استدعاء أفراد القبيلة لأمور مهمة،قد تكون لغزوة من الغزوات أو حل مشكلة من المشاكل التي تحدث داخل القبيلة الواحدة.

أما بعد التحضر الذي حدث في أمور الحياة العامة،فتعددت استخدامات الإضاءة وكثرة إشكالها،وبمرور الزمن ظهرت الاسرجة والقناديل في الإسلام لإضاءة المساجد وأماكن التعليم،والمدن والطرقات وتنوعت المادة المشتعلة في الإنارة والأوعية المستخدمة،التي هي عبارة عن وعاء فيه زيت وله فتيل،والمقصود بالزيت زيت الزيتون المتوفر في أغلب البلدان العربية ومنها أفريقيا وبلاد الشام وبلاد فارس،وكذلك الشموع كمادة مضيئة ومن ثم الإنارة بالنفط الذي استخدمه الساسانيون على حدود العراق،وكذلك الإسلام استخدم مادة النفط لأغراض الإضاءة في المساجد والمواكب والاحتفالات بمناسبة المولد النبوي الشريف واستخدامات أخرى.

المبحث الأول

١- الإضاءة بالأسرجة والقناديل :

تعد الإضاءة من أهم احتياجات الإنسان في كل مكان،وتعددت أنواعها وكثرت في العصر الإسلامي،فكانت الاسرجة والقناديل عبارة عن وعاء فيه زيت وله فتيل،زيت الزيتون متوفر في أغلب البلدان العربية الإسلامية،كما في الأندلس وأفريقيا وبلاد فارس[١].وكانت الأسرجة والقناديل تستعمل للبيوت كما للمساجد الأولى والبيوت المتواضعة.وقد ذكر البخار((إن الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي إذا أراد امرؤ الرقاد أن يغلق بابه ويوكى سقاءه،ويخمر إناءه ويطفي سراجه))[٢].

وكانت تجلب القناديل والزيوت من الشام إلى المدينة المنورة وأرض العراق،وعلى مايبدو إن الزيوت تفتقرها المدينة،وإن الشام مشهورة بزراعة الزيتون،لذلك كثر فيها زيت الزيتون الذي كان يستعمل للأكل وكذلك كمادة حارقة توضع في القناديل لإضاءة البيوت والمساجد[٣].

روى سعيد بن زبان حدثني ؟أبي عن أبيه عن جده عن أبي هند (رضي الله عنه) قال:((حمل تميم الداري من الشام إلى المدينة قناديل وزيتاً ومقطا،فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك

ليلة الجمعة،فأمر غلاما اسمه أبو البزاد،فعلق القناديل وصب فيها الماء والزيت وجعل فيها الفتيل،فلما غربت الشمس أمر أبا البزاد فأسرجها))[٤].فشاهدها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تزهر فقال:من فعل هذا فقالو تميم الداري فقال((نورت الإسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة))[٥].وكانت الاهتمامات واضحة في إضاءة المساجد ودور العبادة بعد الإسلام حيث أوصى الله سبحانه وتعالى، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم،وأكد علماء الإسلام على ذلك حيث قال العلماء((ويستحب أن ينور البيت الذي يقرأ فيه القران بتعليق القناديل والمصابيح ونصب الشموع فيه،وزداد في شهر رمضان أنوار المساجد))[٦].لذلك أول من فرش المساجد وأشعل القناديل والمصابيح فيها هو الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)،وذلك في صلاة التراويح،ولما رأى علي(رضي الله عنه) المصابيح تزهر المسجد وهم مجتمعين لصلاة التراويح قال((نورت مساجدنا نور الله قبرك يا أبا الخطاب))[٧].

ولا بد من الإشارة إلى إن مادة الفتيل التي تساعد على اشتعال القناديل،تصنع من نبات يسمى نمام*(أوريعانس)وله القابلية على الإنبات في الأرض الوعرة والصخرية،ويستخدم كدواء لشفاء الكثير من الأمراض[٨].وبما إن هذا النبات يكثر في بلاد الشام،وتأكيداً على ذلك قيل انه يجلب من بلاد الشام لاستخدامه في الإنارة[٩].

ومن المعروف إن الاهتمام بالإضاءة تواصل على مر العصور ابتداء من عهد الرسول(صلى الله عليه وسلم)،والخلفاء الراشدين وحتى وقتنا الحاضر إذ أن المساجد منارة بالإضاءة الكثيفة وتأكيداً على ذلك ذكر كتاب الخراج وضاعة الكتابة إن لإضاءة القناديل في المساجد فيها((إنسا للسابلة وإضاءة للمتهجدة ونشاطاً للمتعبدين ونفياً لمكامن الريب وتتريها لبيوت الله عن وحشة الظلام))[١٠].

وقد كانت القناديل مستخدمة في الكنائس البيزنطية،واسمها اللاتيني يدل عليها ولكنها لم تصبح مبذولة للناس بسبب تكاليفها العالية،لذلك اقتصرت على دور العبادة والمساجد،وبعض من عوائل الميسورة والمتمكنة على توفير الزيوت المساعدة في إشعالها لاستخدامها للإضاءة أمام بيوتهم[١١].ولكون الزيوت المادة الأساسية لإشعال الأسرجة والقناديل وغير متوفرة في مكة والمدينة وتجلب من أماكن بعيدة، لذلك تكون غالية الأثمان،وذكر عن يوسف بن مسلم:((إن زيت قناديل مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يحمل من الشام حتى أنقطع في ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة،ولما ولي داوود بن عيسى سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م أخرجه من بيت المال،وذكر في خلافة الناصر لدين الله يصل الزيت من أوقاف بها سبعة وعشرين قنطاراً كل قنطار مائة وثلاثون رطلاً بالمصري ومائة وستون شمعة مابين كبيرة وصغيرة))[١٢].

ومن الملاحظ إن صناعة القناديل تطورت وتوسعت بمرور الزمن،ولعب الفن في تزينها،فظهر منها الفضة،والذهب،وصار بعضها من الزجاج مثل القناديل المعلقة في البيت العتيق،وكانت توقد كل ليلة كما ذكر ابن جبير في رحلته ووصفه للمسجد الحرام والبيت العتيق[١٣].

أما بالنسبة لقناديل الفضة, فكانت تستخدم في المساجد والدور والمدن،وتشعل في أماكن التعليم ،والمزارات للأضرحة كما في المرقد العظيم الشأن بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين رضي الله عنه وهو في تابوت من الفضة مدفون تحت الأرض، قد بني عليه بناء يعجز الناظر عن وصفه إذ ذكره ابن جبير قائلاً((مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً ابيض ومنه ماهو دون ذلك،وقد وضع أكثرها في أنوار فضة خالصة، ومنها مذهبة وعلقت عليه قناديل فضة....))[١٤].

ومن الأضرحة الأخرى التي استخدمت فيها قناديل الفضة والذهب ضريح الحسين بن علي رضي الله عنه في كربلاء،إذ زينت العتبة المقدسة من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة[١٥].

ولاشك إن القناديل بأنواعها وأشكالها استخدمت في المساجد والمدارس والأضرحة وغيرها،ولا تقتصر على الذهب أو الفضة إنما تعددت معادنها،و أوزانها و أسعارها،فقد ذكر ابن الأثير،بعد غزو الفرنجة للمسجد الأقصى وقتل مافيه من فقهاء وقضاة وزهاد وسرقة ما فيه من قناديل،فقد اخذوا أكثر من ((أربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة ألاف وستمائة درهم اخذوا تنور*من الفضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي،واخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسون قنديلاً ومن الذهب أكثر من عشرين قنديلاً و غنموا منه ما لايقع عليه الإحصاء))[١٦].

ومن غير الممكن الاستغناء عن الإضاءة في المساجد و الطرقات و المدن، وحتى أماكن السكن ولحاجة الإنسان الماسة للإضاءة كثرت استخدامات الاسرجة و القناديل٠١٧،فقد ذكر ابن كثير ((بعد تطهير بيت المقدس من الصبيان والنواقيس والرهبان والقساقسة ودخل أهل الإيمان ونودي الأذان وقرأ القرآن كان أول جمعة أصبحت في أربعة شعبان بعد يوم الفتح فنصب المنبر إلى جانب المحراب وبسطت البسط وعلقت القناديل))[١٨].

وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦/٧٠٥م-٧١٤م) كانت له اهتمامات كبيرة في بناءالمساجد والجوامع،فعمل على بناء المسجد الجامع،وسمي بالجامع الأموي في دمشق،وقبل انه انفق عليه أربعمائة صندوق،في كل صندوق أربعمائة عشر ألف دينار،وفيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل. إلا إن هذه الأموال الطائلة التي صرفت على القناديل و السلاسل،قد عمل عمر بن عبد العزيز على رفعها وذلك كي لا تغشي عيون الناظرين،ولا تكون فتنة بين المسلمين وردها إلى بيت المال[١٩].

وهذا يعني إن القناديل أيضاً حضيت باهتمامات الخلفاء و الولاة في أمصار البلدان العربية الإسلامية،وصرفت عليها أموال كثيرة،حيث إنها تعد من التراث العربي الإسلامي،وهي جزء من زينة الأبنية و المساكن،وان تطور الجانب العمراني في الدولة العربية الإسلامية،إذا كان في المساجد أو يا في العمارة،مما يدل على تطور وتقدم الجانب الحضاري و الثقافي للدولة لذلك عمل الصناع و الحرفين على تزيين المباني،وصناعة مصادر الإضاءة بأشكال مختلفة و معادن متعددة.ولم يقتصر استخدام القناديل أو المصابيح لإضاءة المساجد فحسب إنما استخدمت لإضاءة الاحتفالات في المولد

النبوي الشريف،فكان الكثير من الولاة يأمرون بإشعال المصابيح و الشموع ومنارات المساجد تعظيماً بيوم المولد النبوي و سروراً به[٢٠].ولذلك استخدمت على الدكاكين و البيوت ليلاً،حيث كانوا يضعون لكل ثلاثة دكاكين قنديلا لمنع السراق[٢١]،وان لإشعال القناديل و إخفائها في المساجد،كان هناك مسؤول للعمل بذلك وهم خادم الجامع الذي يعمل على تنظيفه، ومن جملة أعماله في المساجد و الجوامع هو تنظيف القناديل وتعميرها بالزيت والفتائل،وإن الخادم لا تقتصر مسؤوليته على إدامة وتنظيف الجامع،إنما هو معلم يعلم التلاميذ القراءة والكتابة،ويفهمهم ،وبعد إتمام اللقاء الدروس،يقوم بإدامة المسجد[٢٢].

وذكرنا أنفاً إن إضاءة المساجد أثناء قيام صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك على الرغم من غلاء المادة المشتعلة و المستخدمة في القناديل،فقد كانت هناك عادة تمارس في دمشق من قبل الأمراء والولاة،عندما يموت احد الأمراء أو حاشيته أو أقربائه((تعمل ليلة النصف على العادة من إشعال القناديل))[٢٣] ولم يشعل الناس قناديلهم لما فيها من الغلاء،وتأخر المطر وقلة الغلة وارتفاع الأسعار للأشياء وخصوصاً الزيت الذي كان يستخدم كمادة للاشتعال إضافة إلى النفط،إذ كان كل رطل يساوي أربعة ونصف من الدراهم،وذلك في سنة(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)[٢٤].

٣- الإضاءة بالشموع:

الشموع وسيلة للإضاءة استخدمت في إنارة المساجد،إضافة إلى الأسرجة والقناديل،ولكن لغلاء أثمانها أقتصر استخدامها في مواكب الاحتفالات،والجلسات الخاصة بالخلفاء والأمراء،أما عامة الناس فليس بإمكانها استخدام مثل هذا النوع من الإضاءة لغلاء أسعارها[٢٥].وأشار النبي محمد (صلى عليه وسلم) بشأن إضاءة المساجد((من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يصلون عليه ويستغفرون له مادام ذلك الضوء فيه))،وقال العلماء يستحب أن ينور البيت الذي يقرأ فيه القران بتعليق القناديل ونصب الشموع فيه[٢٦].وكانت الشموع قبل الإسلام تستخدم الشموع في الكنائس والأديرة عند النصارى وكذلك إضاءة المعابد،وقيل إن المسجد الأقصى إضافة إلى القناديل الفضية،كان هناك شموع كبيرة جداً،فمنها شمعة قدرت بطول سبعة أذرع وقطرها ثلاثة أشبار ولونها كالكافور الزجاجي وشمعتها مخلوطة بالعنبر، ويقال:أن سلطان مصر يرسل إلى المسجد الأقصى كل سنة كثير من الشمع وفيها هذه الشمعة الكبيرة ويكتب عليها أسمه بالذهب[٢٧].

وكانت محامل الشموع عادة لاتختلف عن الأسرجة والقناديل،فلها أنوار تجمعها واحدة أو أكثر،وتثبت الشموع بواسطة ركائز،وبذلك يمكن تعليقها في القصور أوالمساجد والكنائس[٢٨]، ومن الملاحظ إن تلك الأنوار صنعت بأشكال مختلفة ومن معادن متعددة،فمنها الذهب والفضة والنحاس والخزف وغيرها من المعادن الأخرى،إذ إن الحرفيين والصناع تفننوا في صياغتها وزينتها.وذكرنا إن الشموع استخدمت للاحتفالات لحضور أو زيارة بعض الشخصيات أو القضاة أو الأمراء، محتفلين بحضوره الناس أو رجوعه من سفر بعيد وبأيديهم الشموع، وعلى سبيل المثال رجوع قاضي القضاة

تاج الدين السبكي إلى دمشق، إذ أحتفل به ألناس من ألعوام والخاصين نساءٍ ورجالاً، وكانت هذه الاحتفالات متعارف عليها في ذلك الزمان[٢٩].

وقد شاعت إضاءة الشموع في مجالس الخلفاء والأمراء والمساجد منذ العصر الأموي،لكونها ذا كلفة عالية تبلغ أضعاف الأسرجة والقناديل التي كانت تستخدم على نطاق واسع،لذلك أستخدم الخلفاء الأمويون والعباسيون الشموع وشموع العنبر في قصورهم ومساكنهم ترفاً،كما ذكر أبن خلدون أن المأمون بذخ أموال طائلة في ليلة عرسه على ببوران بنت الحسن بن سهيل،وكذلك قيل إن المأمون ببوران ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت وأوقد ((الشموع العنبر في كل واحد مائة من الذهب مكللاً بالدرر والياقوت))[٣٠].

وفي بلاد الشام ذكر عن إضاءة الشموع في مدينة دمشق أيام الأعياد والأفراح،والجلسات الأدبية والشعرية وليالي الطرب.فقد ذكر كتاب بدائع البداية في سنة(٣٦٥هـ/٩٧٥م)في مدينة الرملة ببلاد الشام،والتي جاء إليها القرمطي أبو علي قصير الثياب،الذي أمسى في ليلة من الطرب التي كثر فيها إشعال الشموع،وجعل الليل نهاراً[٣١].وكذلك ذكر أبن طيفور عن ماأنفقه الرشيد من أموال لحمل الشموع بأنوار من ذهب ليلة بني بزبيدة[٣٢]، وفي عرس المعتضد على قطر الندى كانت الأنوار من فضة وواحدة من ذهب[٣٣].

ومن الأمور التي تلفت نظر الباحث الأموال الطائلة التي أنفقت على ليالي السهر والأنس في عصر الخلفاء العباسيين،ومناسبات زفافهم كما في زواج الخليفة المأمون،وعلى الرغم من إمكانيات الدولة العربية الإسلامية المالية في العهد الأموي والعباسي على السواء،إلا إنه تبقى مثل هكذا روايات وبهذه الأرقام من الصرف محل شك للباحث.

وفي مدة حكم الخليفة الناصر لدين الله العباسي،الذي أمر بحمل الإمام المستضيء بأمر الله من الدار التي كان مدفوناً فيها إلى الجانب الغربي من بغداد،حيث مثواه الجديد،وأمر أن يحمل في السفينة المعروفة بالزنوب عجيبة الصنع ونادرة الوجود،وبحضور أرباب الدولة وأهل العلم والمقام،وأشراف الناس،لتحويل الإمام المستضيء فركب كل واحد من الناس سفينة على قدر وسعة ،وأخذوا من الشموع التي أشعلت في تلك الليلة،وكان الشط بأسره من كلا جانبيه يتقد كشعلة نار من كثرة الشموع التي أشعلت في تلك الليلة،وكانت الناس قياماً في أماكنهم والقراء يقرأون القرآن،وأهل بغداد لا يحصى عددهم واقفون على جانبي نهر دجلة.[٣٤]

وفيما يخص التخصيصات المالية التي أنفقت على شراء الشموع وكثرة استهلاكها في العهد الأموي على وجهة الخصوص،وجدنا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز(١٠١/٧١٩م) بعد توليه الخلافة،أتبع سياسة مالية جديدة تختلف عما سبقه من الخلفاء الأمويين،إذ إنه أعطى النفقات على من يستحق من النفقة وبالعدل والتساوي،وأرجع كل الأموال التي كانت تنفق بغير حساب واستحقاق إلى بيت المال، ومنها الإنفاق لمواد الإضاءة من زيوت وشموع، وقطع نفقات الشمع عن كل الولاة من

بني أمية وأرجعها إلى بيت مال المسلمين،ولما تقدم والي المدينة أبو بكر محمد بن عمرو لإعادة إطلاق النفقات التي كانت تصرف للشموع، وأمره الخليفة عمر بن عبد العزيز أن لا يعاود في ذكر هذا الموضوع مرة أخرى.[٣٥]

ومن الطبيعي أن كل مواد الاشتعال تزداد بمرور الزمن ويكثر صناعها وأدوات التصنيع،إذ إن للتجار الأثر الكبير في نقل المواد الأولية للصناعة من الأماكن أو الأقاليم التي تتوفر فيها تلك المواد،لذلك كثرت صناعة الشموع،وبأنواعها الشموع الكافورية والعنبرية منذ أواخر القرن الثاني للهجرة.

٣-الشموع قبل الإسلام:

ذكر الإخباريون بشأن إضاءة الشموع واستخدامها، ومنهم أبن هشام وأبن الجوزي في إشارة إلى حذيمة الأبرش، الذي كان ملكاً على الحيرة وما حولها من المدن،حيث إنه ((ملك ستين سنة، وقد خافه القريب وهابه البعيد،وهو أول من أوقد الشموع بين يديه وأول من نصب المجانيق في الحرب، وأول من أجتمع له الملك في أرض العراق))[٣٦].

وقد كانت الشموع قبل الإسلام توقد في المواكب الكنسية وتهدى للمعابد وقد أستخدمها بغض ملوك الحيرة في مواكبهم[٣٧]،وزيادة على ذلك أهتم النصارى من أهل الذمة في إشعال الشموع بالمناسبات والأعياد،وعادت النصارى في أمواتهم أنهم يوقدون الشموع ويزفون بها إلى الميت، ويرفعون أصواتهم في قرأءت كتبهم[٣٨].ومن أولئك النصارى من ذوي المكانة المرموقة يعقوب بن تسطاس طبيب الحاكم الذي سار أهل الدولة في جنازته ومعهم شموع كثيرة[٣٩].

ويبدو لنا من خلال ما ذكره المؤرخون أنفي الذكر أن للشموع استخدامات منذ العصور القديمة، وحتى قبل ظهور الإسلام كما أشارت الدراسات التاريخية فيما يخص استخدام الشموع في المواكب والمناسبات الدينية، والسير بالجنازة كما كان يؤديها النصارى في دفن موتاهم،وعلى ما يبدو هي جزء من التقاليد الاجتماعية التي تمارس في تلك المدة. ومثل هذه التقاليد قد منعت من قبل الصحابة، خوفاً من أن تحمل النيران في السير بالجنازة وتكون سنة لدى الناس من بعدهم[٤٠].

٤-الإضاءة بالنفط:

تعتبر الإضاءة بالنفط من ارخص أنواع الإضاءة في بدايات العصر الإسلامي،وبكل الأحوال فأن المسلمين استخدموا النفط في كثير من الاستعمالات ومنها الإضاءة في المساجد و المواكب و الاحتفالات،إلا إن استبدل هذا النوع من الإضاءة بالشمع في المساجد و أماكن العبادة و التعليم، لما له من مخلفات تسبب في تلوث البيئة داخل المساجد أو البيوت.

وكان للنفط استخدامات أخرى قبل الإسلام،إذ انه استخدم كدواء للحيوانات ومنها الإبل والماشية،إذ ذكر الأزهري ((بل هو نفط أسود رقيق لا خثورة فيه تهنأ به الإبل الجرب،وليس بالقطران لان القطران عصارة شجر معروف وفيه خثورة يداوي به دبر البعير و لايطلى به الجرب))[٤١].

واستخدم النفط الأبيض كدواء للإنسان،ذكر كتاب الحاوي في الطب ((إن النفط وتناوله صحة للأطفال الصغار بعد خلطه بكمية من المياه و تناوله حيث انه يقضي على الديدان التي تتجمع في الأمعاء))[٤٢].

وعرف الساسانيون الإضاءة بالنفط عند حواف العراق،و استخدموا القناديل للإضاءة في المعابد والمدن،وكذلك استخدموها كمشاعل في الحروب،وقد ذكر ابن جبير انه سمع عن النفط في العراق و رآه في مكانين:مكان بين البصرة والكوفة و أخر قال فيه: ((مررنا بموضع يعرف بالقيارة من دجلة و بالجانب الغربي منها ... وهو من الأرض سوداء كأنها سحابة أنبط الله عيونا كبارا وصغارا تنبع بالقار ...))[٤٣].

ومن المعروف إن النفط الأسود استعمالاته كثيرة في البناء منذ القدم حيث استخدم لطلاء السطوح لتجنب الرطوبة،و استخدم لطلاء الحمامات في بغداد أيام حكم الدولة العباسية،و يذكر أيضاً إن استخدام النفط لم يقتصر على الإضاءة،ففي عهد سلطان المسلمين الملك الناصر،رويت حادثة جرت على أيدي اثنين من النصارى الذين قاموا بإشعال دكاكين المسلمين في سوق الرجال بالشام،حيث وضعوا النفط في شقوق الدكاكين و أشعلوها مما سبب أضراراً كبيرة[٤٤].

ويذكر إن أول من استخدم النفط للإضاءة في الحج الخليفه المعتصم بالله الذي أنفط وأسرج ليالي الحج بين المازمين سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) حيث وضع المصابيح للحجاج خيفة السرقة[٤٥].

وذكر ابن الأثير إن مادة النفط كانت متوفرة في بلاد الشام،ففي رواية عند حصار الفرنج لمدينة صور ((اشتد قتال الفرنج خوفاً من اتصال النجدات ففي نشاب الأتراك فقاتلوا بالخشب وفني النفط،فضفروا بسرداب تحت الأرض فيه نفط لا يعلم من خزنه[٤٦].

وكذلك في أيام حكم الخليفه الغالب بالله عندما حاصر المسلمين مدينة البريجة التي تسمى الجديدة حصاراً طويلاً في سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) في المغرب العربي إذ كانت محصنة حصناً منيعاً من قبل النصارى،فاستخدم السلمون في الحصار النفط لاقتحام المدينة فاهلك خلقا من المسلمين والنصارى[٤٧].

هذا يعني إن للنفط استعمالات حربية متعددة إضافة إلى استعمال المشاعل التي استخدمها المسلمون في الحروب للدلالة على الطرق أو استخدام الشعلات الحرارية وقذفها بالمنجنيق عند حصار المدن،و لا يمكن الاستغناء عن النفط في الماضي والحاضر حيث دخل في أكثر الصناعات،و يعد ألان من المواد الأولية الأساسية في الصناعة،وزيادة على ذلك انه يشكل مصدر استراتيجياً لكل البلدان المصدرة له وأصبح مصدراً للحروب والفتن على مر العصور.

المبحث الثاني

أنواع الشموع:

اولا – الشموع المنوية:

وهي نوع من الشموع التي استخدمت في إنارة المساجد، وهي ذات حجم كبير يصل قطرها أكثر من (٣٠ سم)، وطولها أعلى من قامة الرجل وبلغ وزنها أكثر من قنطاراً[٤٨].وهذا النوع من الشموع قد ارتفع سعرها في عهد الخليفة العباسي المقتدربالله سنة(٣٠٤هـ/٩١٦م) وذلك عندما عين أبن الفرات علي بن محمد للوزارة في زمن الخليفة المقتدر كان الناس يزورونه مهنئين لاستلامه المنصب الوزاري،وبذلك كل فرد من عامة الناس لم يخرج منه إلا وبيده شمعة منوية* وهذا أدى إلى ارتفاع أسعار الشمعة المنوية إلى قيراط. وكذلك يذكرون إن الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان يتخذ الشموع المنوية الغليظة الذي يبلغ وزنها المن أو الرطلين[٤٩].

ومن الأخبار بخصوص الشموع المنوية ووصف أحجامها وأنواعها ذكر أبو الحسين بن عياش قال ((دعانا أبو جعفر الطائي مع أبي القاسم سليمان بن الحسين دعوة أنفق فيها مائتي دينار،وكان أحسن ما شهدناه شمعتين كبار تبلغ وزنهما بحدود أربعون مناً مقعدتين في تنورين كبيرين، نصبهما في وسط المجلس،وفرق الشموع الصغار حواليهما))[٥٠].

وذكر في عتق الشموع أن هذه الشموع كانت مخزونة منذ خمسين سنة وهي تميل إلى اللون الأبيض، وذكر أنها منذ زمن أبيه، فأستعملها في هذه المناسبة، وذكر أن الشموع كلما عتقت قاومت الاشتعال وتأخر اشتعالها، لذلك لم تستهلك في تلك الليلة إلا أصابع يسيرة[٥١].

ثانيا – الشموع الموكبية:

أستخدم هذا النوع من الشموع في المولد النبوي الشريف، فكان أبي مظفر الدين قبل المولد النبوي بيومين يخرج من الإبل والبقر والغنم أعداداً كبيرة، وزفها بجميع ماعنده من طبول حتى يأتي بها في الميدان، وهو مكان لذبح الحيوانات في المولد النبوي، ويقال في ليلة المولد النبوي بعد صلاة المغرب ينزل إلى الشارع وبين يديه عدد من الشموع المشتعلة، وشمعتان من الشموع الموكبيه التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل[٥٢]. وكذلك أستخدمها بعض ملوك الحيرة في مواكبهم، كما حيث أستخدمها الخلفاء الأمويون[٥٣].

ومن الملاحظ أن الشموع الموكبية كان يكثر شراؤها في شهر رمضان التي يصل وزن الواحدة منها عشرة أرطال فما دونها من المزهرات العجيبة الزي المليئة الصنعة ومن الشمع الذي يحمل على عجل، ويبلغ وزن الواحدة منها عشرة أرطال فما فوق[٥٤].

ثالثا – الشموع الكافورية: وهي عادةً تكون غالية الثمن لمزجها بالكافور ذو الرائحة الزكية، وكانت هذه الشموع يقتصر استخداماتها على الملوك والوزراء وتستخدم للحفلات و الإعراس الخاصة بهم. وذكرنا سابقاً ان الخليفة المأمون استخدمها في عرسه والمعتضد وهارون الرشيد[٥٥].

رابعاً: الشموع العنبرية:

من المعروف إن هذا النوع من العنبر يمتاز بعطره عند الاشتعال، وقد أشارَ ناصري خسروا انه ذات يوم قد شاهدَ شمعة عنبرية في مسجد قبة الصخرة يبلغ ارتفاعها حوالي سبعة اذرع ويصل قطرها إلى ثلاثة أشبار(٥٦).

ولاشك إن استخدام الشموع العنبرية تكون على مستوى ضيق من الناس ويقتصر استخدامها عند الميسورين، وكذلك الخلفاء والأمراء كما ذكرنا في إشارات سابقة وتستخدم الشموع الغالية الثمن في مجالس الخلفاء وليالي الأنس وحفلات الزفاف.

الخاتمة

تم التوصل الى مايأتي:

- الاسرجة و القناديل نوع من الإضاءة وهي عبارة عن وعاء فيه زيت الزيتون وله فتيل.
- إن مكة و المدينة و العراق كانت تفتقرالى مادة الزيت لذلك كان يجلب من الشام ومصر وبأسعار عالية.
- أول من أضاء المساجد وأشعل القناديل هو الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وذلك في صلاة التراويح.
- إن مادة الفتيل التي تساعد على اشتعال القناديل،تصنع من نبات يسمى نمام(أوري عانس) وله القابلية على الإنبات في الأراضي الوعرة والصخرية.
- تطورت صناعة القناديل وتوسعت بمرور الزمن،ولعب الفن في تزيينها،فظهر منها الذهب والفضة والنحاس والخزف مثل القناديل المعلقة في البيت العتيق.
- في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان،كانت له اهتمامات كبيرة في بناء المساجد والجوامع،فعمل على بناء المسجد الأموي في دمشق،وفيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل.
- لم يقتصر استخدام القناديل أو المصابيح لإضاءة المساجد فحسب،إنما لإضاءة الاحتفالات في المولد النبوي الشريف أيضا،فكان الكثير من الولاة يأمرون بإشعال القناديل والشموع ومنارات المساجد تعظيماً بيوم المولد النبوي وسرورا به.
- إضاءة الشموع شاعت في مجالس الخلفاء والأمراء والمساجد منذ العصر الأموي،لكونه ذا كلفة عالية تبلغ إضعاف الأسرجة و القناديل التي كانت تستخدم على نطاق واسع.
- تعد الإضاءة بالنفط من ارخص الإضاءة استخدمه المسلمون في كثير من الاستعمالات ومنها إضاءة المساجد والمواكب والاحتفالات.

– كذلك استخدم النفط الأسود كدواء للحيوانات ومنها الإبل والماشية،إذ انه يعمل على معالجة الجرب واستخدم النفط الأبيض أيضا كدواء للإنسان،إذ إن تناول نسبة قليلة منه يقضي على الديدان التي تتجمع في الأمعاء.

– عرف النفط الأسود منذ القدم في استعمالاته الكثيرة ومنها طلاء سطوح الأبنية،كما في استخدامه للحمامات في بغداد أيام حكم الدولة العباسية.

– استخدمت المشاعل في الحروب لإنارة الطرق،والشعلات الحرارية التي تقذف بالمجانيق أثناء حصار المدن.

هوامش البحث

١– مصطفى :شاكر،المدن في الإسلام حتى العصر العثماني،ذات السلاسل للطباعة والنشر (بلا،١٩٨٨)٢:٧٢٩.

٢– مصطفى :المدن في الإسلام حتى العصر العثماني٢:٧٢٩.

٣– القرطبي :أبو عبد الله محمد بن احمد(٦٧١ه/١٢٧١م،الجامع لإحكام القران،دار الشعب،(القاهرة،بلا)١٢:٢٧٤؛ الكتاني: عبد الحي،(ت ٣٨٢هـ/٩٩٢م)، التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)،دار الكتاب العربي،(بيروت،بلا)١:٨٤.

٤– القرطبي :الجامع لإحكام القران،١٢:٢٧٤؛الكتاني:التراتيب الإدارية،١:٨٤.

٥– الخزمي :صالح بن ظاهر،وظيفة المسجد في المجتمع،وزارة الشؤون والدعوة والإرشاد (السعودية،١٤١٩هـ)١:٧٨؛أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد:صفوة الصفوة تحقيق محمود فاخوري،دار المعرفة،(بيروت،١٩٧٩)٢:١٣٤؛القرطبي:الجامع لإحكام القران،١٢:٢٧٥.

٦– أبو الفرج :صفوة الصفوة،٢:١٣٤؛الخزمي:وظيفة المسجد،١:٧٨.

*نمام :وهو نبات ناعم الملمس وله أغصان دقيقة جداً يصلح فتلهُ ورائحتهُ طيبة،ابن البيطار،ضياء الدين أبي محمد بن احمد الاندلسي(ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،دار الكتب العلمية(بيروت،٢٠٠١) ١٢:٢٥٧.

٧– أبن الجوزي :عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت)،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،دار صادر (بيروت،٣٥٨هـ)٤:١٨؛الجبرتي :عبد الرحمن بن حسن(١٢٢٧هـ/١٨١٢م)،تاريخ عجائب الآثار في التراجم والإخبار،دار الجبل (بيروت،بلا)٣:٣٨.

٨– أبن البيطار :الجامع لمفردات الأدوية الأغذية،١٢:٢٥٧.

٩– أبن البيطار :الجامع لمفردات الأدوية،١٢:٢٥٧.

١٠– أبن جعفر :قدامه(بلا)،الخراج وصناعة الكتابة،تحقيق محمد حسين،دار الرشيد (العراق،بلا)١:٣٨.

١١– مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٣٢.

١٢– القلقشندى :احمد بن علي بن احمد(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،تحقيق عبد القادر زكار،وزارة الثقافة (دمشق،١٩٨١)٤:٣٠٨.

١٣– الكناني :أبي الحسن محمد بن احمد(٦١٤هـ/١٢١٧م)،رحلة أبن جبير،تحقيق وتقديم محمد مصطفى زيادة،دار الكتاب العربي (بيروت،بلا)١:٨٤.

١٤- الكناني :رحلة أبن جبير،٤٨:١؛خسرو :ناصري،سفر نامه(ت بلا)،تحقيق يحيى الخشاب،ط٣،دار الكتاب الجديد (بيروت،١٩٨٣)١٣١:١.

١٥- أبن بطوطة :محمد بن عبد الله(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار،تحقيق المنتصر الكناني،ط٤،مؤسسة الرسالة (بيروت،١٤٠٥هـ)٢٤٠:١.

*التنور :تسمى في المشرق تنور أما في المغرب فتسمى ثريا تشبيهاً لها بنجوم الثريا والتنور المشرقي كان على هيئة التنور و الثريا في المشرق على شكل منائر من البلور.مصطفى:المدن في الإسلام،٧٣٥:٢.

١٦- أبن الأثير :أبو الحسن علي بن أبي الكرم(٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،الكامل في التأريخ،تحقيق عبد الله القاضي،ط٢١،دار الكتب العلمية (بيروت،١٤١٥هـ)١٩:٩.

١٧- الذهبي :شمس الدين محمد بن احمد عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)،تأريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الإعلام،تحقيق عمر عبد السلام،دار الكتب العربية (لبنان،١٩٨٧)٢٦:٤١؛الكناني:رحلة بن جبير،٧٧:١.

١٨- أبن كثير :إسماعيل عمر(ت)،البداية والنهاية،مكتبة المعارف (بيروت،بلا)١٢: ٣٢٤

١٩- أبن خلدون :عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)،مقدمة ابن خلدون،ط٥،دار القلم (بيروت،١٩٨٤)٢٧٦:٢.

٢٠- الجبرتي :عبد الرحمن بن حسن (ت١٢٢٧ه/١٨١٢م)،تأريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار،دار الجيل (بيروت،بلا)٤٨٣:٢ و٥٩٢.

٢١- الجبرتي :تأريخ عجائب الآثار،٦١٧:٢.

٢٢- الجبرتي :تأريخ عجائب الآثار،٣٨٢:٣ و٥٨٨.

٢٣- أبن كثير :البداية و النهاية،١٤: ٢٢٤

٢٤- أبن كثير :البداية و النهاية،٤٢٤:١٤.

٢٥- مصطفى :المدن في الإسلام،٧٣٧:٢.

٢٦- خسرو :سفر نامه،٦٧:١.

٢٧- القرطبي :الجامع لإحكام القران،٢٧٥:١٢؛خسرو،سفر نامه،٦٧:١.

٢٨- أبن كثير :البداية و النهاية،٣١٨:٤.

٢٩- أبن كثير :البداية والنهاية ٣١٨:٤.

٣٠- أبن الأزرق :بدائع السلك في طبائع الملك(ت بلا)،تحقيق د.علي سامي النشار،وزارة الإعلام (العراق،بلا)٢٥٩:٢؛أبن خلدون:المقدمة،١٧٣:١.

٣١- المصري :علي بن ظافر الأزدي(ت ٦١٣هـ/١٢١٦م)،بدائع البدائة (بلا مكان)٤٤:١؛الشافعي :أبي القاسم علي بن الحسن أبن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)،تاريخ مدينة دمشق،تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر،دار الفكر (بيروت،١٩٩٥)٧:١٣؛الذهبي،سير اعلام النبلاء،تحقيق شغيب الارناؤط،مؤسسة الرسالة(بيروت،١٤١٣هـ)٢٧٥:١٦.

٣٢- أبن طيفور :أبي الفضل احمد بن طاهر الكاتب(ت بلا)،كتاب بغداد،تحقيق السيد عزة العطار،ط٣،مكتبة الخانجي (القاهرة،٢٠٠٢)٢٠٩:٦؛مصطفى:المدن في الإسلام،٧٣٧:٢ ٠

٣٣- مصطفى :المدن في الإسلام،٧٣٧:٢-٧٣٨.

٣٤- الأيوبي :محمد تقي الدين (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)مضمار الحقائق وسر الخلائق،تحقيق حسن حبشي،عالم الكتب (القاهرة،بلا)٥٨:١.

٣٥- أبن تغري بردي :جمال الدين أبى المحاسن يوسف(ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة،وزارة الثقافة و الإرشاد القومي (مصر،بلا)٣:٧٣.

٣٦- أبن سمحون :أبو الحسن بن إسماعيل البغدادي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)،أمالي أبن سمحون (بلا مكان)،١:٤٩٦ .

٣٧- مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٣٧.

٣٨- الدمشقي :أبو عبد الله شمس الدين بن أبي بكر(٧٥١هـ/١٤٥٠م)،إحكام أهل الذمة،تحقيق يوسف احمد البكري وشاكر توفيق،دار أبن حزم (بيروت،١٩٩٧)٣:١٢٥١.

٣٩- مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٤٠.

٤٠- الدمشقي :أحكام أهل الذمة،٣:١٢٥١.

٤١-الزبيدي :محمد مرتضى الحسيني (ت بلا)،تاج العروس،تحقيق مجموعة من المحققين،دار الهداية،١٨:٣١٦

٤٢- الرازي :أبو بكر بن زكريا(ت بلا)،الحاوي في الطب،تحقيق هيثم خليفة،دار الأحياء العربي (بيروت،٢٠٠٢)٣:٤١٢.

٤٣- مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٤٣-٧٤٤.

٤٤- أبن كثير :البداية والنهاية،١٤:١٨٦.

٤٥- مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٤٥.

٤٦- أبن كثير :الكامل في التاريخ،٩:١٤٥.

٤٧- الناصري :أبو القاسم احمد بن خالد (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)،الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب (ادار البيضاء،١٩٩٧)،٥:٤٣.

٤٨- مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٤١.

*الشموع المنوية :سميت المنوية لكون وحدة قياسها المن.مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٣٧.

٤٩- مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٣٧و٧٣٩.

٥٠- البصري :أبو الحسن بن علي بن محمد (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)،نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة،تحقيق حسين عبد الهادي،دار الكتب العلمية،(بيروت،٢٠٠٤)١:٣٢٩.

٥١- البصري :نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة،١:٣٢٩

٥٢ - أبن خلكان :أبو العباس شمس الدين احمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)،وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان تحقيق إحسان عباس (بيروت،١٩٨٧م)٤٥:٤٠٤.

٥٣- مصطفى :المدن في الإسلام، ٢: ٧٣٧

٥٤ - مصطفى :المدن في الإسلام،٢:٧٣٩.

٥٥- أبن طيفور :كتاب بغداد،٦:٢٠٩.

٥٦- خسرو :سفر نامة ١ :٦٨.